الرِّحلة الحجازيَّة

لأبي العلاء إدريس بن عبد الهادي بن عبد الله بن التِّهامي
العلوي الشَّاكري الحسني الفاسي

(ت. 1331هـ - 1913م)

تقديم وتحقيق:

د. عبد العالي لمدبر

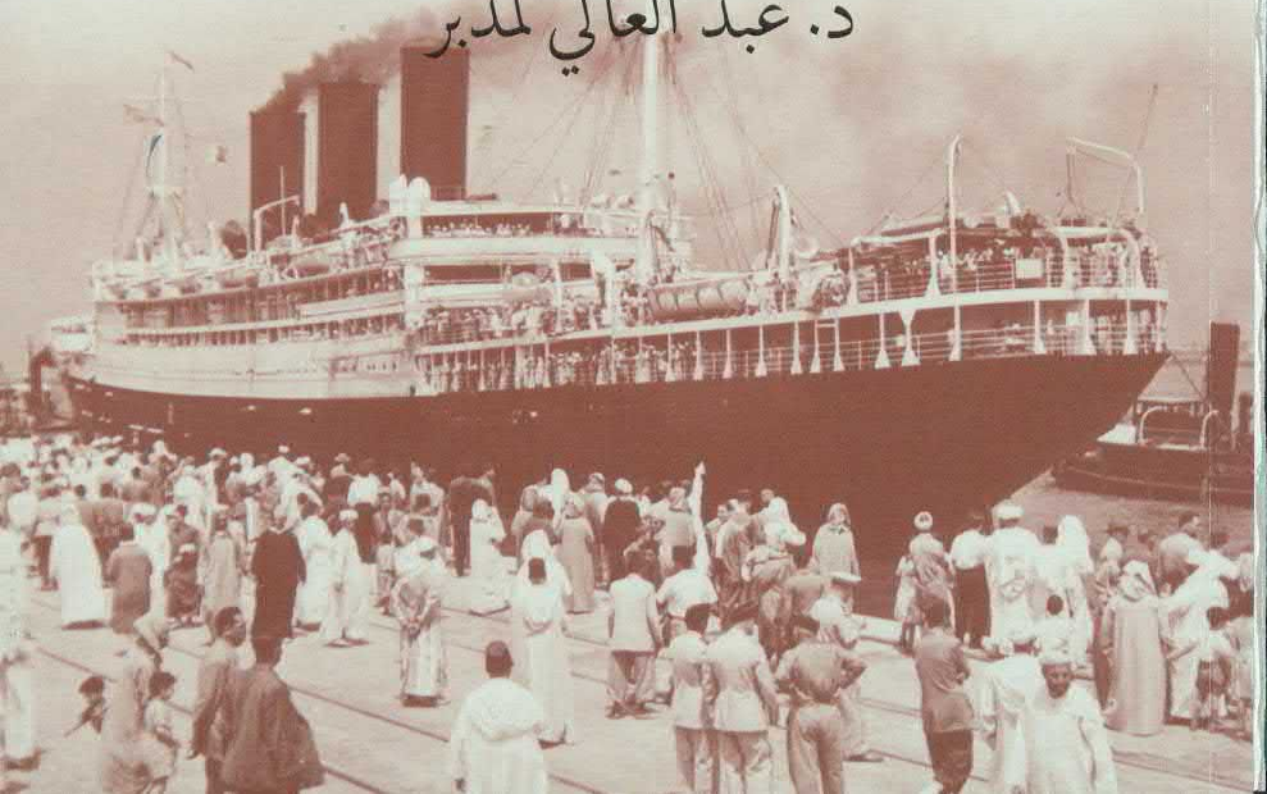

الرِّحلة الحجازيَّة

الكتاب: الرِّحلة الحجازيَّة
الناشر: الخزانة الملكية
الطبعة: 2017
الإيداع القانوني: 2016MO5355
ردمك: 978-9954-0-5673-8
الطباعة والإخراج الفني: Orange Créative 0537-683735
orangecrea@gmail.com

الرِّحلة الحجازيَّة

لأبي العلاء إدريس بن عبد الهادي بن عبد الله بن التِّهامي

العلوي الشَّاكري الحسني الفاسي

(ت. 1331هـ - 1913م)

تقديم وتحقيق:

د. عبد العالي لمدبر

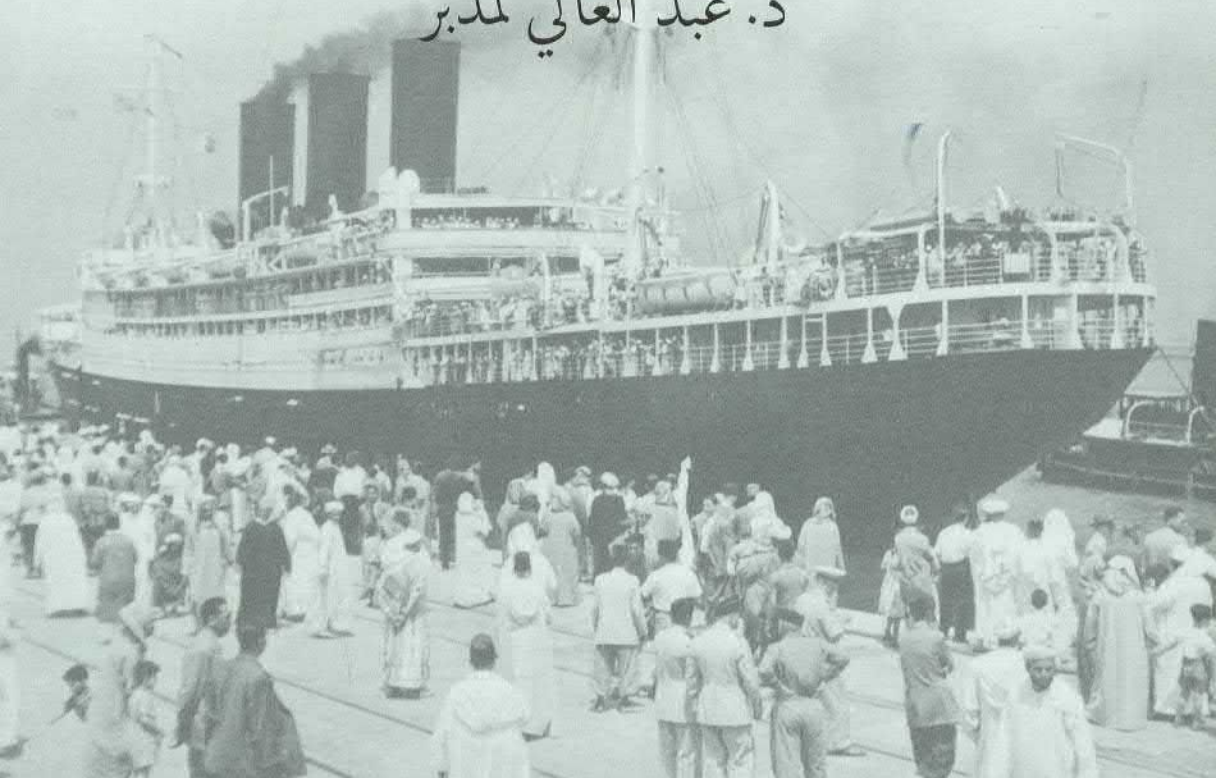

مدخل عام

الحمد لله الَّذي فضَّل العلمَ وجعلَ الرِّحلةَ في طَلَبِهِ فَرِيضَةً على كلِّ مسلمٍ، والصَّلاة والسَّلام على سيِّدنا محمَّد أشرف المرسلين وعلى آله وصحبه والتَّابعين ومن تبِعهم بإحسان إلى يوم الدِّين، وبعد:

فإنَّ أدبَ الرِّحلة يُعدُّ من أهمِّ أبوابِ الأدبِ العربي عامَّةً، و الأدب المغربي خاصَّةً، حيث أبدعَ فيه الأُدباءُ والعلماءُ المغاربةُ إبداعاً مُنقطِعَ النَّظيرِ، وذلك من خلال الرِّحْلاتِ الكثيرةِ الَّتي ألَّفُوها في مجالاتٍ متعدِّدَةٍ، وموضُوعاتٍ مُختلفةٍ، كالرِّحلة السِّفَارِيةِ على اختلاف أنواعِهَا، والرِّحلةِ العلميَّة الَّتي قامَ بها العُلماءُ المغاربةُ سواءٌ داخلَ المغربِ في مختلفِ حَوَاضِرِهِ العلْمِيَّةِ كفاسَ ومرَّاكشَ وغيرهما، أو خارجَ المغربِ في العواصِمِ العلميَّةِ المشرقيَّة كبغدادَ والبصرةِ والكُوفةِ والقاهرَةِ. وَرِحْلَاتُ الحجِّ المعرُوفَة بالرِّحْلَاتِ الحجازيَّة الَّتي تندرجُ ضِمْنَهَا رحلةُ أبي العلاءِ إدريسَ بْنِ عَبْدِ الهَادِي بْنِ عَبْدِ الله بْنِ التِّهامِيِّ الشَّاكِرِي العَلَوِي الحسنِي المتوفَّى سنة:1331هـ، الَّتي نَشْرُفُ بتقديمِهَا للقارئِ الكريمِ.

فقد دَوَّنَ فيها المؤلِّفُ انْطِبَاعَاتِهِ عن الأماكنِ المقدَّسَةِ، وما تتميَّزُ به من المزَارَاتِ الشَّريفةِ، والأماكنِ والمواضِعِ الْمُفَضَّلَةِ الَّتي يُتَبَرَّكُ بها ويَجْمُلُ بالحاجِّ الوقُوف عليها لِيَعْلَمَ مَدْلُولَهَا التَّاريخي في بناءِ الحضارة

العربيَّة الإسلاميَّة، وحَدَّثَنا فيها عن جُملةِ العُلماءِ الأَعْلَامِ الَّذين تَتَلْمَذَ عليهم وحضرَ دُرُوسَهم في جامعِ الأزهرِ بالقاهرة، وفي المسجد النَّبوي بالمدينَة المنوَّرةِ، وفي المسجد الحرام بمكَّة المكرَّمة، ووصَفَ لنا في هذه الرِّحلة المآثرَ الحضاريَّةَ والعمرانيَّةَ لبعض الحَوَاضِرِ سواءٌ في المغربِ، أو في بعض بلدانِ حَوضِ البحرِ الأبيضِ المتوسِّطِ، أو مِصْرَ، أو الحجَازِ الَّتي اسْتَرْعَتْ انتباهَهُ ونَالَتْ إِعْجَابَهُ عبر مَسَارِ رِحْلَتِهِ ذهاباً وإيَاباً، كما ذكرَ لنا ما وَاجَهَهُ مع رَكْبِ الحاجِّ من مُعَانَاةٍ ومَخَاطِرَ في الطَّريق، كالغَارات المتكرِّرة الَّتي وقعت لهم من طَرفِ الشُطَّارِ والزُّعَّارِ وصَعَالِيكِ ذلك الزَّمَانِ. ومِمَّا حَفَزَنِي على تحقيق هذه الرِّحلة الحجازيَّةِ أيضاً منهجُ تأليفِهَا، فقد جعل لها المؤلِّفُ بناءً فنِّياً لم يَنْسِجْ على مِنْوالِهِ أحدٌ، فقدْ أَفْرَدَ خَاتِمَتَهَا للحديثِ عن زِيَارَاتِهِ للأولياءِ والشُّهداءِ، ومُلاقَاةِ العُلماء الأعلام، والوُقُوفِ على المزارَاتِ التَّاريخيَّةِ الشَّاهدةِ على الأحداثِ والوقائِعِ التَّاريخيَّةِ، والتَّبرُّكِ بالأماكِنِ ذاتِ الأرواحِ القُدسيَّةِ والأنْوارِ السَّنِيَّةِ.

وخلالَ مَسِيرتنَا العلميَّة في فهرسَةِ مخطوطات الخزانة الحسنيَّة العامرة فهرسَة وصفيَّة موضوعيَّة، بِمَعِيَّةِ أخي العزيز الدُّكتور محمد سعيد حنشي، وقَفْتُ على نسخة لهذه الرِّحلة، فَأَحْجَمْتُ عن القيامِ بعمليةِ التَّحقيقِ اعتماداً على نسخةٍ فريدة، عِلْماً منِّي بأنَّ تَعَدُّدَ النُّسخ عُنصرٌ أساس عند علماءِ التَّحقيق يُمَكِّنُ من القيام بتاريخ النَّصِّ الَّذي

أصبحَ ضربة لازب في مجالِ تحقيقِ التُّراث تحقيقاً علميّاً، ثمَّ بعد فترةٍ زمنيَّةٍ وجدتُ نُسختينِ مخطوطتينِ محفُوظَتَيْنِ في المكتبة الوطنية المغربية بالرباط، الشَّيْءُ الَّذي شجَّعني، وأَذْهَبَ التَّردُّدَ عن خَاطِرِي، وقَوَّى عزيمتِي على الاهتمام بها وتحقيقِهَا، وإخراجِهَا من حَيِّزِ المخطوطِ إلى عالمِ المطبوعِ.

هذا وقد قسَّمتُ هذا البحثَ قِسمَينِ كَبِيرَيْنِ: أَفْرَدْتُ القسمَ الأوَّلَ لِلتَّقديمِ، وخَصَّصْتُ القسمَ الثَّاني لمتنِ الرِّحلةِ المحقَّق.

أمَّا قسم التَّقديم فعالجْتُ فيه بشكل مُفَصَّلٍ ومُستفيضٍ حياةَ أبِي العَلَاءِ إدريسَ بْنِ عَبْدِ الهادِي بْنِ عَبْدِ الله بْنِ التِّهامِيِّ العلوِيِّ الحسنِيِّ المتوفَّى سنة:1331هـ، اعتمادا على ما قَدَّمَتْهُ لنا كتبُ التَّراجِمِ من أخبارٍ ومَعْلُوماتٍ حولَ حياتِهِ تتعلَّق خاصَّة باسمِهِ، ونسبِهِ، وَنَشْأَتِهِ، وثقافَتِهِ، وتَدريسِهِ، وشُيوخِهِ، وتلامذتِهِ، ووفاتِهِ، وثناءِ العلماء عليه، ومؤلَّفاتِهِ العلميَّة لاسِيَّمَا رحلتُهُ الحجازيَّةُ.

أمَّا قسم التَّحقيق فخصَّصتُهُ لمتن الرِّحلة الْمُحَقَّق، حيث أَوْلَيْتُ العنايةَ فيه لكلِّ ما يَستحقُّ التَّخْريجَ، أو ما يحتاجُ إلى توثيقٍ، أو شرحٍ، أو تعليقٍ، أو تصويبٍ، وأوضحتُ ما كان فيه من النُّقُولِ، والتَّضْمِينَاتِ، والاقتباسَاتِ. والتزمْتُ في مُعالجَةِ هذه القَضايا كلّها بِخُطْوَاتٍ منهجيَّةٍ علميَّةٍ حافظتُ فيها على قواعدِ التَّحقيقِ العِلْمِي الْمُتَعَارَف عليها لَدَى

جُمْهُورِ الْمُحَقِّقِينَ، ثمَّ أَرْدَفْتُ ذلك بوصفٍ عامٍّ لنُسخِ المخطوطِ الثَّلاث المعتمَدَة في تحقيق هذه الرِّحْلة، مع مُلْحَقٍ من نماذجَ مُصوَّرة من كلِّ نُسخةٍ، وخَتَمْتُ العَمَلَ بمجموعةٍ من الفهارسِ الْمُفَصَّلَةِ الَّتي تُساعِدُ القارئَ على البَحْثِ في متنِ الرِّحلةِ.

فهذه بِضَاعتي الْمُزْجَاة قَدَّمتُها بين يديْ القارِئِ الكريمِ، فما وَجَدَ فيها من الهفواتِ فليُقابِلْهَا بالصَّفحِ وسَدِّ الخَلَلِ بالإصلاحِ، وما لَمَسَ فيها من الصَّوابِ فبتوفيقٍ من الله تعالى. ولا يَفُوتُني في هذه المناسَبَةِ أن أتقدَّمَ بجزيل الشُّكر وأصدقِ عباراتِ الامتنانِ إلى كلِّ من مَدَّ يَدَ المساعدة من قريبٍ أو من بعيدٍ في تصحيحِ هذا العمل وإخراجِهِ، وأخصُّ بالذِّكر أستاذنا الكريم وشيخنا الجليل الدكتور أحمد شوقي بنبين حفظه الله وأَمَدَّ في عمره ورَزَقَهُ الصِّحَّةَ والعافيَةَ، الَّذي تجشَّمَ عَنَاءَ قراءة الكتاب من أوَّلِهِ إلى آخرِهِ وحَرِصَ على تصحيحِهِ تصحيحاً دقيقاً، وذلك دَيْدَنُهُ في البحوثِ التُّراثية والمشاريع العلميَّةِ الَّتي يُشرِفُ عليها سواء في رحابِ الخزانةِ الحسنيةِ العامرة أو في باقي المؤسَّسات العلميَّة الأخرى، فجزاه الله عنَّا أحسن الجزاء وأبقاه سنداً في خدمة التُّراث العربي.

وفي الأخير أدعُو اللهَ العليَّ القدير أن يجعلَ هذا العملَ خالصاً لوجهِهِ الكريمِ الَّذي أشرقت بنوره السَّماوات والأرضين، وأن يوفِّقني لما يحبُّه ويرضَاهُ، والحمد لله الَّذي بنعمته تتمُّ الصَّالحات والصَّلاة والسَّلام

عـلى أشرف المخْلُوقـات سـيِّدنا محمَّـد وآلِـهِ وصحبِـهِ أجمعـين ومـن تبعهـم بإحسـانٍ إلى يـوم الدِّيـن.

وكتبه عبد ربه وأقل عبيده
عبد العالي لمدبر
الرباط في: يوم الثلاثاء 19ذي القعدة
عام: 1437هـ موافق: 23 غشت سنة: 2016م

القسم الأوَّل: التَّقديم

حياة المؤلِّف

اسمهُ ونسبهُ ونشأتهُ:

هـو أَبُـو العـلاءِ إدريـسُ بْـنُ القـاضي أبي مُحَمَّـدٍ عبـدِ الهـادِي بْـنِ عبـدِ الله بْـنِ التِّهامِـيِّ بْـنِ عَبْـدِ الله[1] العَلَـوِيِّ الشَّـاكِرِي[2] الحَسَـنِيِّ، كان علَّامةً مُشـاركاً وَجِيهاً مُصْلِحاً خَيِّراً دَيِّناً، مُتواضِعاً مُحِبّاً لِلْمساكينِ، ساعياً في حَاجاتِ الْمُسْـتَضْعَفِينَ، «ذو أحـوالٍ سُـنِّيَّةٍ وأفعـالٍ سَـنِيَّةٍ، وهِمَـمٍ سَرِيَّـة، ونُعـوتٍ مَرْضِيَّـةٍ، وعـلى ما آتـاهُ مولاهُ مـن الجَلَالَـةِ والْمَهَابَـةِ والجَـاهِ، يَلْقَـى الضَّعيـفَ والخَطِـيرَ بِوَجْـهٍ مُسْـتَنِيرٍ، ويُعامِلُ الـكُلَّ معاملـةَ الأبْـرَارِ، الفُضـلاءِ الأخْيَـارِ، وَصُـولٌ لِلْأَرْحَـامِ، رحيمٌ بالضُّعفـاءِ والأيتامِ، عزيـزُ الجَـارِ، حسـنُ الجِوَارِ، حَسـنُ الْمُحَـاضَرَةِ، حُلْـوُ المذاكرَةِ، وَسِـيعُ الصَّـدرِ، نافِذُ الأمْـرِ، سَـالِكٌ سـبيلَ الاقتصـادِ، مُسَـارِعٌ إلى مَرْضـاتِ رَبِّ العبـادِ، عامـلٌ بكتـابِ الله،

1 - وردت ترجمتـه وأخبـاره في: الإشراف عـلى بعـض مـن بفـاس مـن مشـاهير الأشراف:2/ 45 ذكـر مـع ترجمـة أبيـه، والـدرر البهيـة:1/ 300، وفواصـل الجـمان: 119، معجـم الشـيوخ المسـمى ريـاض الجنـة أو المدهـش المطرب: 116، والإتحـاف لابـن زيـدان: 5/ 352 و535، والإعـلام للمراكـشي:3/ 47، وفهـرس الفهـارس: ذكـر في الصفحـات التاليـة: 132 - 152 - 391 - 578 - 1042 - 1101 ودليـل مـؤرخ المغـرب: 142و 355، والرحلـة الزيدانيـة: 25، وإتحـاف المُطالـع: 403/2، والأعـلام الشرقيـة في المائـة الرابعـة عـشرة الهجريـة:281/1 - 282، وموسـوعة أعـلام المغـرب:8/ 2875، والأعـلام:279/1، ومعجـم المؤلفـين:13/ 371، والمصـادر العربيـة لتاريـخ المغـرب: 235/2، الموسـوعة المغربيـة للأعـلام البشريـة والحضريـة:13/4، وديـوان الـروض الفاتـح بأزهـار النسـيب والمدائـح» لإدريس بـن عـلي السـناني المدعـو الحنـش، مخطـوط المكتبـة الوطنيـة الربـاط رقـم: ك1678، وفهـرس مخطوطـات المكتبـة الوطنيـة في الربـاط: 239/2.

2 - الشـاكري: مـن شرفـاء أولاد شـاكر سـكان الرتـب بتافلالـت وبيتهـم قديـم في العلـم والعمـل، وهـم مـن العلويـين اليوسـفيين، وأول قـادم منهـم عـلى فـاس والـده العلامـة المـولى عبـد الهـادي. معجـم الشـيوخ: 117.

وسُـنَّةِ رسـولِ الله، كثـيرُ الصِّيـامِ، طويـلُ القِيَـامِ»[1]، وهـو فَـرْعٌ نَشـأَ في أُسرةٍ: «مـن أعيـانِ علـماءِ حـاضِرَة فـاسَ، ومـن أَنْفَـسِ أَشْرَافِهَـا الأَكْيَـاسِ، وبَيْتُهُـمْ مـن فِيلَالَـةَ بيـتُ علـمٍ قديـمٍ »[2].

ثَقَافَتُهُ:

كان المترجَـمُ عالمـا محدِّثـاً ضابطـاً، حائـزاً قصـبَ السَّـبْقِ مـن كلِّ علـمٍ وفـنٍّ، ماهـراً في علـم السِّـيرة النَّبويَّـةِ، يُعَـدُّ مـن صُـدورِ أعـلامِ عـصرِهِ الْمُمَيَّزِيـنَ بالتَّحقيـقِ والإِتْقَـانِ، اشـتغل بالتَّدريـس في جامـع القرويِّـين، وكان يَفِـدُ عـلى الحَـضْرَةِ الشَّريفـة بمرَّاكُـشَ قَصْـدَ قـراءة صحيـح البخـاري بـين يَـدَيِّ السُّـلطانِ مـولايَ عبـدِ الرَّحمـنِ بْـنِ هشـامٍ. كان شَـديدَ العنايَـةِ بالعلـمِ، مُنْكَبّـاً عـلى تَحْصِيلِـهِ، جَمَّاعـاً للدَّوَاوِيـنِ العلميَّـةِ، مُتَغَاليـاً في ثمنِهَـا ولاسـيَّما الخَطِّيَّـةُ منهـا، ضَنِينـاً بِهَـا، جمـعَ منهـا عَـدَداً وَافِـراً زِيـادَةً عـلى مـا خَلَّـفَ وَالِـدُهُ مـن الذَّخَائِـرِ حتَّـى كَـوَّنَ مَكتبـةً ضخمَـةً سَـارَتْ بأخبارِهَـا الرُّكْبَـانُ، وشـاعَ خبرُهـا بـين الخِـلَّانِ، وكانـت فـاسُ تَفْتَخِـرُ بهـا إلَّا أنَّهـا تَفَرَّقَـتْ وَبِيـعَ جُلُّهَـا بعـدَ وفاتِـهِ. ومِـمَّا احْتَوَتْـهُ هـذه الخزانَـة مـن النَّـوَادِرِ المخطُوطَـة: نُسَـخٌ مـن شُروحِ صحيـحِ الإمـامِ البخـاري، والمسَـانِيدِ الَّتـي جمعَهَـا السُّـلطانُ سـيِّدي مُحَمَّـدُ

1 - الدرر البهية: 301/1.

2 - الإعلام: 47/3.

بْنُ عَبْدِ الله، ونُسخةٌ خَطِّيَّةٌ نفيسَةٌ من صحيحِ البخارِي في القَالَبِ الكبيرِ. وقد زَارَهُ صاحِبُ «**الإِعْلَامِ**» واطَّلَعَ على هذه الخزانَةِ العلميَّةِ، فقالَ عنْهَا: «أَرَانِي نُسخةً من «**مُنْتَخَبِ كَنْزِ العُمَّال**»[1] خَطِّيَّةً في ثمانِ أجزاءٍ كان اشترى أَوَّلَهَا وانتسخَ له بَاقِيَهَا السيِّدُ عَبْدُ الرَّحمنِ الرَّاشِدِي ورفِيقُهُ حيث كَانَا في السِّجنِ، وبمجرَّد ما أَتَمَّ انتساخَهَا سُرِّحَ، ثمَّ اشتراهُ مَطْبُوعاً بهامِشِ «**مُسند الإمام أحمد**» في ستَّةِ أجزاءٍ، وأَرَانِي جُزْءاً من «**البَيَانِ وَالتَّحْصِيل**» للإمام ابْنِ رُشْدٍ من عشرينَ جُزْءاً كان أَمَرَ بنسخِهِ أميرُ المؤْمِنِينَ سَيِّدي مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الله عامَ: أربعةٍ وسَبْعِينَ وَمِائَةٍ وأَلْف»[2].

ثناءُ العلماء على المؤلِّفِ:

أَثْنَى عليه العُلماءُ من أهلِ عَصْرِهِ الثَّناءَ الحسنَ، لما تميَّزَ به بينَ أَقْرَانِهِ من قوَّةِ العِلْمِ، وَحِدَّةِ الذَّكاءِ، ومكارِمِ الأخلاقِ، وجميلِ الشَّمائلِ، وحُسْنِ السِّيرةِ، فالأديبُ الحاجُّ إِدْرِيسُ بْنُ عَلِيّ الحَنَش السِّنَانِي(ت.1319هـ/1901م) مَدَحَهُ بقصائدَ كثيرةٍ في ديوانِهِ الشِّعْري بَلَغَتْ نحوَ عشرينَ قصيدةً، منها قصيدتُهُ البَائِيَةُ الَّتي مَدَحَهُ بها بَعْدَمَا بَنَى ضَريحَ الشَّيخِ الإمامِ الأديبِ الوزيرِ الهُمامِ مُحمَّدِ بنِ عبدِ الله الشَّهيرِ

1 - «منتخب كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال» لعلاء الدين علي بن حسام الدين الهندي الحنفي الشهير بالمتقي توفي عام: 957هـ طبع الكتلب بهامش مسند الإمام أحمد في دار الفكر بيروت.

2 - الإعلام للعباس ابن إبراهيم(ت.1959م): 52/3ـ 53.

بِلِسَـان الدِّيـنِ ابـنِ الخَطيـبِ المتـوفَّى سـنة: 776هـ رحمـه اللـه في أحـدِ أبـوابِ فـاسَ البدِيعَـةِ، فقال:[الوافـر]

أَبَا إِدْرِيسَ ذَا الرَّأْيِ الْمُصِيبِ ... سَلِيلِ نَبِيِّنَا الهَادِي الحَبِيبِ [1]

جـزاكَ اللـهُ خَالِقُنَـا بِخَـيْرٍ ... عَنِ الشَّيْخِ الإِمَامِ ابْنِ الخَطِيبِ

بَنَيْـتَ ضَرِيحَـهُ للـهِ صِرْفـاً ... بنـاءً جاءَ في شـكلٍ عَجِيبِ

وكانَ ضَرِيحُـهُ قـدْ صـارَ دَكّاً ... مُدَاسـاً لِلْبَعِيـدِ وَلِلْقَرِيـبِ

وقَـدْ حَثَـى عليـهِ الدَّهْـرُ حتَّـى ... عَفَاهُ وَهَاكَذَا شَـأْنُ الْغَرِيبِ

وكانَ النَّـاسُ فِي أَسَـفٍ عَلَيْـهِ ... وفي غَـمٍّ ولا مِثْـلِ الأَدِيبِ

أَمَا قدْ كانَ في الإِسْـلَامِ حَبْراً ... وَبَحْراً فِي الْمَدِيحِ وفِي النَّسِيبِ

لِسَـانَ الدِّيـنِ وَالدُّنْيَـا جَمِيعـاً ... طَوِيلَ الْبَاعِ ذَا الصَّدْرِ الرَّحِيبِ

جَـزَاكَ اللـهُ عَنَّـا يَـا شَرِيفـاً ... جَزَاءَ الْمُخْلِصِ الْعَبْدِ الْمُنِيبِ

نَهَضْتَ بِوَاجِبٍ عَنْ أَهْلِ فَاسٍ ... لِأَنَّـكَ تَقْتَفِي سَـنَنَ الْحَبِيبِ

«فَتُعْطِي الْقَوْسَ بَارِيَهَا» بِفَهْمٍ ... فَأَنْتَ لِنُبْلِ عَقْلِكَ كَالطَّبِيبِ[2]

فَكَمْ لَكَ مِنْ جَمِيلٍ فِي الْبَرَايَا ... زَمَانَ شَبَابِكُمْ حتَّى الْمَشِيبِ

وَكَـمْ لَـكَ مِـنْ صَنِيـعٍ مِثْـلُ هـذا ... وَمَا الْإِحْسَانُ مِنْكُمْ بِالْعَجِيبِ

1 - انظر القصيدة في الديوان: 65ـ 66 مخطوط الخزانة الحسنية رقم:12084.

2 - ضمَّن الشاعر في البيت المثل العربي السائر « أَعْطِ القوسَ بَارِيهَا». جمهرة الامثال: 66/1.

لِأَنَّكَ مِنْ كِرَامِ أَهْلِ مَجْدٍ ... فَلَيْسَ لِشَمْسِ فَضْلِكَ مِنْ مَغِيبِ
أَمَوْلَانَا مَنَحْتَ الْعَبْدَ سُؤْلاً ... فَنِلْتَ مِنَ الْمُنَى أَوْفَى نَصِيبِ
وَكَمْ أَمَّلْتُ هَذَا مِنْ سِوَاكُمْ ... فَلَمْ يَكُ بِالسَّمِيعِ وَلَا الْمُجِيبِ
وَعَامَلَ بِالتَّغَافُلِ وَالتَّلَاهِي ... فَكَانَ جَوَابُهُ قَوْلَ اللَّبِيبِ
سَيُغْنِي اللهُ عَنْ فَقَرَاتِ عَوْفٍ ... وَيَأْتِي اللهُ بِاللَّبَنِ الحَلِيبِ.

أَمَّا صاحبُ «الإِعْلَامِ» فقد قالَ فيهِ: «ولَمَّا رأيتُهُ أَهْلاً لأنْ يُجَازَى بالثَّناءِ الجميلِ، وتخليدِ مآثرِهِ وفضْلِهِ الجَزِيلِ، جَازَيْتُهُ بقصيدةٍ دَالِيةٍ فَائِقَةٍ وإن كان مَقَامُهُ أَعْلَى مِمَّا ذَكَرْتُ، فَقُلْتُ: [البسيط]

حَيَّتْكَ حُوراً مَلِيحةَ الدَّلَالِ أَيَا ... نَجْلَ الشَّرِيفِ المُنِيفِ عَابِدِ الهَادِي
قَاضِي الْقُضَاةِ بِغَرْبِنَا وَعَالِمِهِ الْـ ... ـبَحْرِ الحَلَاحِلِ فِي فِقْهٍ وَإِسْنَادِ
وَطَارَحَتْكَ حَدِيثاً فِي مُحَاضَرَةٍ ... فِي مَجْلِسٍ نِعْمَ ذَاكَ المَجْلِسُ النَّادِي
فَأَنْبَأَتْنَا وَأَخْبَرَتْ تُحَدِّثُنَا ... بِأَطْيَبِ الْخُبْرِ مِنْ إِنْشَائِهَا الشَّادِي
أَنَّ الشَّرِيفَ بْنَ عَبْدِ الهَادِي أَوْحَدُ عَصْـ ... ـرِهِ تَوَاتَرَ مِنْ جَمْعٍ وَآحَادِ
أَفَادَنَا مِنْ نَفِيسِ عِلْمِهِ دُرَراً ... أَزْرَتْ بِجَوْهَرِ أَطْوَاقٍ بِأَجْيَادِ
أَهْدَى لَنَا أَرَجاً مِنْ عِلْمِهِ عَطِراً ... مَوْلَانَا إِدْرِيسَ مَنْ بِعِلْمِهِ هَادِي
فَالرُّوحُ مُسْتَرْوَحٌ إِلَى مُذَاكَرَةٍ ... مِنْ فِيهِ فَهْيَ كَنَقْعِ غُلَّةِ الصَّادِي

فَلَا غَرَابَةَ فَالْفُنُونُ مَعْدِنُهَا هَذَا الشَّرِيفُ بِلَا رَيْبٍ وَإِلْحَادِ

يُفِيدُ بِالْعِلْمِ مَنْ أَتَاهُ يَطْلُبُهُ وَبِالْقِرَى رَائِحاً إِلَيْهِ أَوْ غَادِي

وَلَيْسَ يَجْحَدُ فَضْلَهُ الشَّهِيرَ سِوَى وَغْدٍ خَسِيسٍ مِنَ آرْدَالٍ وَأَوْغَادِ

أَوْ حَاسِدٍ حَسْبُنَا اللهُ الْوَكِيلُ مِنَ آشْـــــــــرَارِ الْحَسُودِ وَمُبْغِضٍ وَحَقَّادِ»[1]

وَوَصَفَهُ تلميذُهُ عَبْدُ الحفيظِ بْنُ مُحمَّدٍ الطَّاهِرِيُّ بْنِ عَبْدِ الْكَبِيرِ الفَاسِي (ت.1383هـ) بأنَّه كان: « زَوَّاراً للصَّالحينَ حَسَنَ الظَّنِّ فيهم، مُحِبّاً في أهلِ الحرمينِ الشَّرِيفَيْنِ، كثيرَ العِنايَةِ بِالْوَارِدِينَ منهم، يُنْزِلُهُمْ في دارِهِ ويقُومُ بِبِرِّهِمْ وإِكْرَامِهِمْ، كثيرَ التَّواضُعِ مع أهلِ الفَضلِ والفُقَرَاءِ، يَحْضُرُ جنائِزَ من عَرَفَ وَمَنْ لم يَعْرِفْ ولاسِيَّمَا جنائِزُ أهلِ العلمِ، فَيَمْشِي فيها ويلازِمُ صَبَاحَ قَبْرِهَا، ما أَكَلَ طَعَامَ أحدٍ مُنْذُ وُلِدَ إلى أنْ تُوُفِّيَ»[2].

وحَلَّاهُ الفُضَيْلِي في «**الدُّرَرُ الْبَهِيَّةُ**» بقولِهِ: «البَحْرُ الزَّاخِرُ الَّذي لا يُدْرَى ساحِلُهُ، ويَنْبُوعُ المفَاخِرِ لا تُعَدُّ فضَائِلُهُ، والْحَفِيُّ الَّذي لا يُخَيَّبُ سائِلُهُ، إن ذُكِرَ العُلماءُ الأَذْكِياءُ، حازَ مَقَامَ الزُّهَرَةِ والثُّرَيَّا، تَصدَّى لِنَشْرِ العُلومِ رِوَايَةً وتَدْرِيساً، حتَّى غَدَا إماماً رئيساً، عَرَفَ الأُصُولَ والفُرُوعَ، والْمَتْرُوكَ والمشْرُوعَ، والصَّحيحَ والموضُوعَ، فَصَارَ قُدْوَةً في الأفعَالِ والأقوالِ، عُمْدَةً

1 - الإعلام: 48/3 - 49.

2 - معجم الشيوخ: 117.

في جميعِ الأحوالِ، شَاعَ ذِكرهُ في المشَارِقِ والمغَارِبِ، وامْتَطَى من الفضائلِ السَّنَامَ والغَارِبَ، وأحبَّه الأجانِبُ والأقارِبُ، واشتهرَ اشتهارَ البَدْرِ المنِيرِ، أو الشَّمسِ إذا بَدَتْ بِأُحُدٍ وَثَبِيرٍ، جمعَ أَشْتَاتَ المعَالِي، وأحْرزَ المقَامَ الآلِي، وبالجُملَةِ فهو أحدُ الأَمْجَادِ الْمَوْجُودِينَ، والأفرادِ المعْدُودِينَ، فلا يُذْكَرُ أهلُ الفَضْلِ إلَّا كان واسِطَةَ عِقْدِهِمْ، ولاعُدَّ أهْلُ البَذْلِ إلَّا كان في أَوَّلِ عَدِّهِمْ»[1].

وفاته:

تُوُفِّيَ أبُو العَلاءِ إدريسُ بْنُ عبدِ الهادِي بْنِ عبدِ الله العلوِي الشَّاكِرِي رحمه الله في المدينةِ المنوَّرةِ يومَ الثُّلاثاء سابعِ محرَّمِ الحرامِ فاتح عام واحدٍ وثلاثينَ وثلاثمائة وألفٍ بعد الهجرة (1331هـ)، مُوافق سنة:1913م ودُفن في البَقِيعِ عن عمر يُنَاهِزُ نَيِّفاً وثمانين سنةً، وحَضَرَ دَفْنَهُ رَفِيقُهُ في الحجِّ أبُو عبدِ الله محمَّدُ الصِّدِّيق الأَمْرَانِي. وذكرَ ابنُ زيدان في «**الإتْحَاف**» أنَّ تاريخَ وفاةِ إدريسَ ابن عبدِ الهادِي العلوِيِّ دَفِينِ طَيْبَةَ كانتْ عامَ تِسْعَةٍ وعِشْرِينَ وثلاثمائة وألفٍ لِلْهِجْرَةِ، يَبْدُو أنَّ ابْنَ زَيْدَانَ وَهِمَ في هذا التَّاريخ، وقد علَّقَ عليه عَبْدُ السَّلامِ بْنُ عَبْدِ القادِرِ ابْنِ سُودةَ بقوله: «وَمَا في الإتْحَافِ لِشَيْخِنَا ابْنِ زَيْدَانَ (الجزء الخامس

1 - الدرر البهية والجواهر النبوية:300/1.

صحيفـة:352) مِـنْ أنَّ وفَاتَـهُ كانـت سـنة:1329هـ موافـق سـنة:1911 سَـبْقُ قَلَـمٍ لأنَّـه في هـذه السَّـنة كان لا يَـزَالُ بِفَـاسَ»[1]، فباسـتثناء هـذا الاختـلاف في تاريـخ وفـاةِ المؤلِّـفِ الَّـذي ورد ذكـره عنـد ابـن زيـدانَ في الإتحـافِ فـإنَّ جميـعَ مصـادر ترجمتـه تتَّفِـقُ في ذكـرِ تاريـخِ وفاتِـهِ.

1 - دليل مؤرخ المغرب:142/1.

شُيُوخُهُ

أخـذَ أبُـو العـلاءِ إدريـسُ بْـنُ عبـدِ الهـادِي بْـنِ عبـدِ الله العلـوِي الشَّـاكِرِي العِلْـمَ عـن مجموعـةٍ مـن الأعـلامِ العُلَمَـاءِ منهـم المغاربَـةُ والمشـارِقَةُ، أَمَّـا شُـيوخُهُ مـن المغـربِ فَهُـمْ:

-**وَالِـدُهُ أبُـو مُحَمَّـدٍ عَبْـدُ الهـادِي بْـنُ عَبْـدِ الله بْـنِ التِّهَامِـيّ الْعَلَوِيّ الشَّـاكِرِيّ**[1] المتـوفَّى سـنة: 1272هـ، كان هـو عُمْدَتَـهُ دِرَايَـةً وَرِوَايَـةً في جميـع العلومِ.

-**أبُـو العبَّـاسِ أَحْمَـدُ بْـنُ مَحمَّد(فتحـاً) بْـنِ عَـلِيٍّ الْمَرْنِيـسِي**[2] المتـوفَّى سـنة: 1277هـ. أخـذ عنـه العلـوم في القرويِّـينَ بِفَـاسَ.

-**مُحَمَّـدُ بْـنُ الخـضرِ الغْرِيـسِي المْـهَاجِي**[3] المتـوفَّى سـنة: 1292هـ. دَرسَ عليـه العلـومَ في جامِـعِ القَرويِّـينَ بمدينـةِ فَـاسَ.

1 - عبـد الهـادي بـن عبـد اللـه بـن التهامـي العلـوي ولـد بـأولاد شـاكر، ارتحـل إلى فـاس وتـولى القضـاء بهـا ونواحيهـا، لـه مؤلفـات متنوعـة تـوفي سـنة: 1272هـ. ترجمتـه في: الإشراف عـلى بعـض مـن بفـاس مـن مشـاهير الأشراف:45/2، والـدرر البهيـة: 299/1، والـشرب المحتـضر: 76، وسـلوة الأنفـاس: 123/1، وشـجرة النـور: 400، وموسـوعة أعـلام المغـرب: 2650/7.

2 - أحمـد بـن مَحمـد فتحـا بـن عـلي المرنيـسي الفـاسي، الشـيخ الشـهير والعـالم الكبـير، المشـارك في عـدة فنـون، لـه تآليـف مختلفـة، تـوفي سـنة: 1277هـ. ترجمتـه في: سـلوة الأنفـاس:293/1 - 294، والـشرب المحتـضر: 84، وشـجرة النـور: 402، ومعجـم طبقـات المؤلفـين عـلى عهـد دولـة العلويـين: 98/2، وموسـوعة أعـلام المغـرب: 2618/7.

3 - محمـد بـن الخـضر الغريـسي المهاجـي الحسـني، كان مشـاركا، مدرسـا مطلعـا، درس في القرويـين في فـاس، تـوفي سـنة:1292هـ ودفـن في روضـة الغربـاء قـرب قبـة الشـيخ ابـن حرزهـم خـارج بـاب الفتـوح. ترجمتـه في: فهـرس الفهـارس:152/1، وموسـوعة أعـلام المغـرب:2652/7.

-**أَبُو مُحمَّد الحَفِيدُ الشَّرِيفُ العَلَوِيُّ الْأَمْرَانِي**[1] المتوفَّى سنة: 1275هـ. أَخذَ عنه العلمَ في جَامِعِ القَرَوِيِّينَ بفَاسَ.

-**أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الحَجْرَتِي الفِيلَالِي**[2] شَيْخُ الجَمَاعَةِ، أَخَذَ عَنْهُ عُلُومَهُ في القَرَوِيِّينَ بمدينة فَاسَ.

وأمَّا شُيُوخُهُ مِنَ المشْرِقِ فَهُمْ:

-**إبراهيمُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ حَسَن السَّقَّا**[3] **الشَّافِعِيُّ** المتوفَّى سنة:1298هـ. أخذَ عنه المؤلِّفُ علومَ الفقهِ والتَّفْسيرِ كما صَرَّحَ بذلك في رِحْلَتِهِ حيث قال: «حَضَرْتُ دَرْسَهُ في الأزهرِ عَمَّرَهُ الله، وَوَجَدْتُهُ يَقْرَأُ شَيْخَ الإسلام **بِشَرْحِ الْمُصَنَّفِ وحاشية البِيجَوْرِي في الرَّهْنِ** وسألتُهُ صالحَ دُعَائِهِ فَهَشَّ وَبَشَّ وأنعمَ بأزهارِ الدُّعَاءِ تقبَّلَ اللهُ منه وأَجْزَلَ جَزَاءَهُ ضَحْوَةَ النَّهَارِ، وبعد ذلك بِيَوْمَيْنِ وَجَدْتُهُ يَقْرَأُ التَّفْسِيرَ عند قوله تعالى﴿ مَا لَهُمْ أَلَّا يَقُولُوا﴾ **بالبيضاوي وحاشية عليه**، فَحَقَّقَ وَدَقَّقَ وأقبل وَرَدَّ لِلَّهِ دَرُّهُ، وبعدَ الفراغِ

1 - مولاي حفيد الشريف العلوي الأمراني، العلامة البركة الرباني، كان آية في العلوم العربية، ولاسيما علم الصرف، وكان يؤم بمدرسة أبي عنان، توفي سنة: 1275هـ. ترجمته في: سلوة الأنفاس: 207/3، ووفيات الصقلي: 76، وإتحاف المطالع: 213/1.

2 - محمد بن عبد الرحمن الفلالي الحجرتي، الفقيه القاضي، وشيخ الشيوخ الأعلام، شيخ جماعة الفقهاء بفاس، توفي سنة: 1275هـ. ترجمته في: سلوة الأنفاس: 232/2، والشرب المحتضر: 81، وموسوعة أعلام المغرب: 2612/7، ومعجم طبقات المؤلفين على عهد دولة العلويين: 314/2، وكناشة عباس بن إبراهيم المراكشي: 177.

3 - إبراهيم بن علي بن حسن السقا، خطيب من فقهاء مصر، تولى الخطابة في الأزهر، مولده ووفاته في القاهرة دفن بجانب الشيخ خليل بالقرافة، له مؤلفات مختلفة، وحواشٍ على كتب متنوعة، توفي سنة:1298هـ. ترجمته في: حلية البشر:1/ 30، وفهرس الفهارس: 1006/2، وإيضاح المكنون:251/1، وهدية العارفين: 42/1، والأعلام: 54/1، ومعجم المؤلفين: 46/1.

مـن الـدَّرس سَـأَلنِي عـن اِسْـمِي فأجَبْتُـهُ بإدريـسَ، ثـمَّ سَـألَ عـن وَالِـدِي فَأَجَبْتُـهُ بِعَبْـدِ الهَـادِي، ثـمَّ سَـأَلَنِي عـن الأَصْـلِ فأجَبْتُـهُ بِسِجِلْمَاسَّـةَ، ثـمَّ عـن الْمَنْشَـأِ فَأَجَبْتُـهُ بِفَـاسَ».

ولَـمَّا سَـأَلَهُ وَتَبَـيَّنَ مـن نَسَـبِهِ وأَصْلِـهِ أجـازَهُ إِجَـازَةً عَامَّـةً شـاملةً بجميـعِ مؤلَّفَاتِـهِ وكلّ مـا يَرْوِيـهِ عـن شُـيُوخِهِ بجمِيـعِ طُـرُقِ الرِّوَايَـةِ العلميَّـةِ المعروفَةِ.

-**أَبُـو عَبْـدِ اللَّـهِ مُحَمَّـدُ بْـنُ أَحْمَـدَ بْـنِ مُحَمَّـدِ عُلَيْـش**[1] المالِـكِيُّ المتـوفَّى سـنة:1299هـ. دَرَسَ المؤلِّـفُ عـلى يـدِ شـيخِهِ عُلَيْـش في مَسْـجِدِ الحُسَـيْنِ بالقاهـرَة عُلُـومَ الحدِيـثِ، والتَّفْسِيرِ، والنَّحـوِ، وقـد أَفْصَحَ عـن ذلـك في رِحْلَتِهِ، مـع تَحْلِيَـةِ شـيخِهِ بأوصافِ المـدحِ والتَّبْجِيـلِ، فقـال:» العلَّامةُ الأوحـدُ، الفهَّامةُ الأمجـدُ، المشـارِكُ الْمُتَفَنِّـنُ النِّـبراسُ المتقِـنُ الشَّـيْخُ عُلَيْـش المالـكِيُّ حـضرتُ دَرْسَـهُ الأَوَّلَ عنـد الـشُّروقِ في الحُسَـيْنِ، وجَدْتُـهُ يقـرأُ كتـاب «**صَحِيـحُ البخارِي**» في آخـرِ كتـابِ الصَّـلاةِ، وقـرأَ في أَثْنَـاءِ الـدَّرسِ نحـو الخَمْسَـة أبـوابٍ مـن كتـابِ الأَذَانِ. ثـمَّ الثَّـاني في المحَـلِّ المذكـورِ بعـدَ الفَـراغِ مـن قـراءةِ الصَّحيـحِ بنحـوِ نِصْـفِ سَـاعَةٍ يقـرأُ كتـاب «**أَقْـرَبُ المَسَـالِكِ**» بـشرحِ الإمـامِ الدَّرْدِيـر وحَاشِـيَةٍ عليـهِ، ثـمَّ الثَّالـث في المحَـلِّ المذكـورِ بعـد صـلاةِ العَـصْرِ يَقـرأُ كتـاب «**أَلْفِيَـةُ ابْـنِ مَالِـكٍ**» عنـد قـول المصنِّـفِ: «**كَلَامُنَـا لَفْـظٌ إلـخ**».

1 - محمـد بـن أحمـد بـن محمـد عليـش أبـو عبـد اللـه، فقيـه، متكلـم، نحـوي، صـوفي، بيـاني، فـرضي، منطقـي، مغـربي الأصـل، تـولى مشـيخة المالكيـة في الأزهـر، لـه تصانيـف مختلفـة، تـوفي سـنة: 1299هـ. ترجمتـه في: شـجرة النـور: 384، وإيضـاح المكنـون: 271/1، وهديـة العارفـين: 382/2، والأعـلام: 19/6ـــ 20.

ثمَّ أجازَهُ إجازةً عامَّةً معَ مَنْ أجازَ مِنَ العُلَمَاءِ.

-**حَسَنُ العِدْوِي الْحَمْزَاوِي الـمَالِكِي**[1] الْمُتَوَفَّى سنة: 1303هـ. أخذَ المؤلِّفُ عن شيخِهِ في جامعِ الأزهرِ بالقاهرةِ عُلومَ التَّفسيرِ، والفِقْهِ، وقد أَثْنَى عليه بقولِهِ: «الفَقِيهُ الأَجَلُّ العلَّامَةُ الأَمْثَلُ الشَّيخُ حَسَنُ العِدْوِي المالِكِي، حَضَرْتُ دَرسَهُ الأوَّل عندَ طلوعِ الشَّمسِ بالأَزْهَرِ يقرأُ التَّفْسِيرَ عند قولِهِ تعالى ﴿وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ﴾ إلخ **بالجَلَالَيْنِ وحَاشِيَةِ الخَفَاجِي**، ثمَّ الثَّاني ضَحْوَةَ النَّهار يقرأُ رِسَالَةَ ابْن أَبِي زَيْدٍ في أثناءِ الطَّالِعَةِ». ومَنَحَهُ إِجَازَةً عامَّةً لجميعِ مُؤَلَّفَاتِهِ وَمَرْوِيَاتِهِ.

-**السَّيِّدُ عبدُ الله الدَّرَّاجِي المُقْرِئ الـمَالِكِي**[2]: أخذَ المؤلِّف عن شَيخِهِ في المسجِدِ النَّبَوِي بالمدينةِ المنَوَّرَةِ علمَ التَّفسيرِ خلالَ رِحْلتِهِ الحجازيَّةِ، وتَحَدَّثَ عنه بقوله: «الشَّيخُ العلَّامة الرَّبَّاني السَّيِّدُ عبدُ الله الدَّرَّاجِ المقْرِئُ المالِكي، وحضرتُ مَجْلِسَهُ في التَّفْسِيرِ بعد العَصْرِ عندَ قول الله عزَّ وجلَّ ﴿الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ﴾».

-**الشَّيْخُ العَرْبِي الشَّافِعِي**[3]: أخذَ المؤلِّفُ عنهُ علمَ التَّفسيرِ في المسجِدِ

1 - حسن العِدْوِي الحمزاوي المالكي، فقيه متكلم محدث، اشتهر بحفظ السيرة وسير الصالحين، له مؤلفات مختلفة، توفي سنة: 1303هـ. ترجمته في: اليواقيت الثمينة: 126/1، وشجرة النور: 407، وهدية العارفين: 303/1، وإيضاح المكنون:63/1، والأعلام: 199/2.

2 - سيدي عبدُ الله بن غانم الدراجي الهذالي النجاعي من أهل العلم والدين والزهد، ذهب إلى المدينة المنورة، ولقيه بها العلماء زوار المسجد النبوي، له مؤلفات مختلفة، توفي في المدينة المنورة عام: 1296هـ. ترجمته في: تعريف الخلف: 243، وتكملة جامع كرامات الأولياء: 269ـ 270.

3 - لم أقف على ترجمته.

النَّبوي بالمدينةِ المنوَّرةِ أثناءَ رِحْلَتِهِ الحجازيَّةِ، وقد وصفهُ بالشَّيْخِ العلَّامة الزَّاهد الوَرِعِ، وصَرَّحَ بأنَّهُ:»حَضَرَ مجلسَهُ في التَّفسير بين العِشَاءَيْنِ عند قولهِ عَزَّ وَجَلَّ ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾: ودرَسَ عندَ ولَدِهِ علمَ النَّحوِ لاسيَّما شَرْحُهُ لألفيَةِ ابْنِ مالِكٍ، حيثُ قال: «وحَضَرْتُ مجلسَ وَلَدِهِ الشَّيخ محمَّد عبد الْمُعْطِي عندَ قولِ ابنِ مالكٍ: **وَقَصْرُ ذِي الْمَدِّ**[1] **إلخ**».

-**سيِّدِي أَبُو العَبَّاسِ أحمدُ بْنُ زَيْنِي دَحْلَان**[2] **المَكِّي الشَّافعي** المتوفَّى سنة:1304هـ. أخذَ عَنْهُ مباشرةً علوماً كثيرةً أثناءَ رِحْلتهِ الحجازِيةِ في مكَّة المكرَّمة، وذك: «أنَّهُ لازمَ الشَّيْخَ دَحْلَانَ في القراءةِ نحوَ ثَلاثةِ أَشْهُرٍ»[3]، ثمَّ أجازَهُ إجازَةً عامَّةً بجميعِ مُؤَلَّفَاتِهِ.

---

1 - هذا صدر بيت من ألفية ابن مالك وتمامه: وَقَصْرُ ذِي الْمَدِّ اضْطِرَاراً مُجْمَعُ عَلَيْهِ وَالْعَكْسُ بِخُلْفٍ يَقَعُ.

2 - أحمد بن زيني دحلان، فقيه مكي مؤرخ، ولد بمكة وتولى فيه الإفتاء والتدريس، مات في المدينة المنورة سنة: 1304هـ له مؤلفات مختلفة منها:» الفتوحات الإسلامية» وغيرها. ترجمته في: حلية البشر: 181/1، وفهرس الفهارس: 390/1، وهدية العارفين: 191/1، والأعلام الشرقية:265/1، والأعلام:129/1ـ 130،

3 - الإعلام: 53/3.

تَلَامِذَتُهُ

أخذَ عن الشَّيخِ أبي العَلاءِ إِدْرِيسَ بْنِ عبدِ الهادِي الحسنِي العلمَ ثُلَّةٌ من العلماءِ، وهم:

-**عَبْدُ الحَفِيظِ بْنُ مُحَمَّدٍ الطَّاهِرِ بْنِ عبدِ الكَبِيرِ الفَاسِي**[1] المتوفَّى سنة:1383هـ. أخذ عنه العلمَ في القرويِّين، وذكرَ رِوَايَتَهُ عنهُ وإِجَازَتَهُ لهُ، فقال: «حَضَرْتُ بعضَ دُرُوسِ المترجَم في القرويِّينَ، وأَجَازَنِي عامَّةً في يوم الخميسِ 4 ربيع الثَّاني سنة:1323هـ»[2].

-**عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ الهَادِي السِّجِلْمَاسِّي**[3] المتوفَّى سنة: 1333هـ. ذكرَ شَيْخَهُ في مقدِّمَةِ كتابِهِ: «**نَفْحَةُ الغُيُوبِ في ذِكْرِ الصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ الْمَحْبُوبِ**» وهو يَسْرُدُ دَوَافِعَ تَأْلِيفِهِ حيث قال: «حَمَلَنِي على جَمْعِهِ صِدْقُ النِّيَّة، وريحُ العِنَايَةِ، وتَوْثِيقُ الهدايةِ، وَإِرْشَادُ سيِّدِنَا وَقُدْوَتِنَا الشَّرِيفِ العلَّامةِ الأجلِّ المدرِّسِ الأُستاذِ الأَحْفَلِ أبي العَلاءِ مولانا إدريسَ بْنِ عبدِ

1 - عبد الحفيظ بن محمد الطاهر بن عبد الكبير الفاسي الفهري، العالم الأديب، المحدث، الراوية، المسند، له مؤلفات كثيرة منها المطبوع ومنها ما زال مخطوطا، توفي سنة: 1383هـ. ترجمته في: إتحاف المطالع: 581/2، ودليل مؤرخ المغرب: 1/ 75، وشجرة النور: 434، ومعجم المطبوعات: 262، والأعلام: 279/3.

2 - معجم الشيوخ المسمى رياض الجنة: 118.

3 - عبد الرحمن بن محمد بن بن عبد الهادي السجلماسي، واحد من أعلام التصوف والأدباء والشعراء المغاربة المغمورين، صنع له الأستاذ عبد الوهاب الفيلالي ترجمة في مقال له في مجلة دعوة الحق، عدد: 313 ربيع الثاني 1416هـ/ غشت شتنبر: 1995 تحت عنوان:» من أعلام الأدب الصوفي في المغرب: عبد الرحمن بن محمد بن عبد الهادي السجلماسي.

الهـادِي الحسـنِي السِّـجِلْمَاسِّي...»[1]

-**مُحَمَّـدُ بْـنُ الحسـنِ بْـنِ عَبْـدِ القـادِرِ بْـنِ عَـلَّال المَدْعُـو حَـمُّ العَرَائِـشِي المَكْنَـاسِي**[2] المتـوفَّى سـنة: 1351هـ، أَخَـذَ عِلْمَـهُ مبـاشرةً مـن شَـيْخِهِ إدريـسَ بْـن عَبْـدِ الهـادِي العَلَـوِيِّ أثنـاءَ مُقَامِـهِ لِلدِّرَاسَـةِ في القَرَوِيِّـينَ بمدينـةِ فَـاسَ.

-**قَاسِـمُ بْـنُ عَبْـدِ القَـادِرِ الحَسْـنَاوِي النَّشْـوَانِي المَكْنَـاسِي**[3] المتوفَّى سـنة: 1342هـ. أخـذَ عـن شَـيْخِهِ جَمِيـعَ عُلُومِـهِ ومَرْوِيَاتِهِ.

---

1 - «نفحـة الغيـوب في ذكـر الصـلاة عـلى النبـي المحبـوب» لعبـد الرحمـن بـن محمـد بـن عبـد الهـادي، ورقـة:213أ رابـع مجمـوع، مخطـوط المكتبـة الوطنيـة الربـاط رقـم: ك 1610.

2 - محمـد بـن الحسـن بـن عبـد القـادر بـن عـلال المدعـو حمـو العرائـشي المكنـاسي، شـيخ الجماعـة بهـا، الفقيـه النحـوي الحيسـوبي الموقـت بالجامـع الكبـير بمكنـاس، لـه مؤلفـات متنوعـة، تـوفي سـنة: 1351هـ. ترجمتـه في: الرحلـة الزيدانيـة:25، وموسـوعة أعـلام المغـرب: 3016/8.

3 - قاسـم بـن عبـد القـادر الحسـناوي المكنـاسي، العـالم العلامـة، الفقيـه الحيسـوبي، كان بارعـا في علـوم الفلـك، تـوفي سـنة: 1342هـ. ترجمتـه في: إتحـاف أعـلام النـاس:5/ 535، وموسـوعة أعـلام المغـرب: 2937/8.

مُؤَلَّفَاتُه

يُعَدُّ صاحب الرِّحلة من المؤلِّفينَ الْمُقِلِّينَ رغم تبحُّرِهِ وتَضَلُّعِهِ من مُختلَفِ العُلوم وتصدُّرِهِ للتَّدريسِ في جامعِ القرويِّين، لذلك لم تَذْكُر له مصادرُ ترجمتِهِ من المؤلَّفات سوى رِحْلَتِهِ الحجازيَّةِ الَّتي سنتحدَّثُ عنها من خِلال مِحْوَرَيْنِ اثْنَيْنِ:

المحور الأوّل حول مَسَار الرِّحْلَةِ:

شرعَ المؤلِّفُ في رِحلتِهِ الحِجَازيَّةِ يومَ الأحدِ الثَّالثَ عشرَ منْ شهرِ رَمضانَ المطهَّر سنة ثلاثٍ وثمانينَ ومائتينِ وأَلْفٍ لِلْهجرةِ، وقد سَلكَ المؤلِّفُ فيها مَسَاراً، كانتْ نُقْطَةُ الانطلاقِ فيه ذَهَاباً من مدينةِ **فَاسَ** صَانَها اللهُ من كُلِّ بَأْسٍ، قُرْبَ المغربِ بنحو سَاعةٍ، وَبَاتَ **بالضَّايَةِ**، **ومنها** لِنْزَالَةِ بَنِي عَمَّارٍ، **ومنها** لِأَزَغَار، **ومنها** لِبلَادِ الغَرْبِ، **ومنها** لِدَارِ القَائِدِ أَبِي بَكْرِ بْنِ مُحَمَّدٍ الحَبَّاسِي، **ومنها** لقريةِ القَائِدِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ السَّلَامِ السُّفْيَانِي، **ومنها** لِلْعَرَائِشِ، **ومنها** لِنْزَالَةِ الحَاجِّ جَلُّول، **ومنها** لنْزَالَةِ عَامِر، **ومنها** لِطَنْجَةَ وكان الخروجُ **منها** يوم الإثنينِ في السَّاعة الثَّانية عشرة من النَّهارِ ثَامن عشرَ رمضان عام:1288هـ/1871م على مَتْنِ البَابُور، **ومنها** لِجَبَلِ الطَّرِيقِ، **ومنها** لجزِيرَةِ مَالْطَةَ وصَلَهَا الرَّكْبُ على السَّاعة العاشرة

مـن ليلـةِ الأحـدِ الثَّـاني عـشر مـن شَـوَّال، بعدمـا قطـعَ مسَـافَةَ تِسْـعِمِائَةٍ وثمانـينَ مِيـلاً، **ومنهـا** لِلْإِسْـكَنْدَرِيَّةِ الَّتـي حـلَّ بهـا الرَّكْـبُ يـوم الأربعـاءِ خامـس عـشر شـوَّال وذلـك عـلى السَّـاعة الثَّانِيَـة مـن النَّهـار، وكان خُروجـهُ منهـا صَبِيحَـةَ يـوم السَّـبت ثامـن عـشر شـوَّال في السَّـاعة السَّـابعة مـن النَّهـار، **ومنهـا** لِلْبَنَادِيـرِ: دَمَنْهُـور، وَكَفْـر الزَّيَّـاتِ، وَطَنْطَـا، وَبَنْهَـا، **ومنهـا** لِشَـبْرَةَ، **ومنهـا** لِبُـولَاق، **ومنهـا** لِلسُّـوَيْسِ، **ومنهـا** لِيَنْبُـعَ البَحْـرِ وصـلَ إليـهِ يـومَ الأحـدِ رَابِـع ذِي القعـدة الحـرام عـلى السَّـاعة الثَّامنـة مـن النَّهـار، **ومنهـا** لِشُـعْبَةِ الحَـاجِّ، **ومنهـا** لِلْمَدِينَـةِ الْمُنَـوَّرَةِ وَصَلَهَـا الرَّكْـبُ قبـلَ فَجْـرِ يَـوْمِ الجُمعـةِ بِسـاعةٍ ونِصْـفٍ الخامـس عـشرَ مـن ذِي القعـدة، وكان خُروجـهُ مـن المدينَـةِ المنـوَّرَةِ في اتجـاهِ مَكَّـةَ الْمُكَرَّمَـة يـوم السَّـبت ثالـث عـشر ذي القعـدة عَقِـبَ صـلاة الظُّهْـرِ، **ومنهـا** لِبِـئْرِ الْـمَاشِي، **ومنهـا** لِلْغَدِيـرِ، **ومنهـا** لِأَشْـفِيَةٍ، **ومنهـا** لِقَرْيَـةِ الرَّيَّـانِ، **ومنهـا** لِبَنْـدَرِ بُوضْبَـع، **ومنهـا** لِرَابِـغ، **ومنهـا** لِلْكَظِيـمِ، **ومنهـا** لِعُسْـفَان، **ومنهـا** لِـوَادِي فَاطِمَـةَ، **ومنهـا** لِمَكَّـةَ الْمُشَرَّفَـة دَخَلَهَـا الرَّكْـبُ بعـدَ عَـصْرِ يـومِ الثُّلاثـاء رَابِـع ذي الحجَّـةِ الحَـرامِ.

أمَّـا مَرْحَلَـة إيَابِـهِ في هـذه الرِّحلـةِ الحجازِيَّـةِ المباركـة، فكانـتْ مـن **مَكَّـةَ المكرَّمـة** خـرجَ منهـا ليلـةَ الأحـد السَّـادس عشر مـن ذي الحجَّـةِ، **ومنهـا** لِجَـاذَةَ، **ومنهـا** لِجَـدَّةَ الَّتـي غَادَرَهَـا يـومَ الأربعـاء التَّاسِـع عـشر مـن ذي الحِجَّـة، **ومنهـا** لِلسُّـوَيْسِ دَخلهَـا في السَّـاعة الحاديـةَ عَـشْرَةَ والنِّصـفِ نهـاراً، **ومنهـا**

لِمِصْرَ(القَاهِـرَة)، **ومنها** لِلْإِسْـكَنْدَرِيَّةِ الَّتـي كان خروجـهُ منهـا يـوم الأربعـاءِ السَّـابعَ عـشرَ محَـرَّم في السَّـاعة الثَّامنـةِ مـن النَّهـارِ، **ومنها** لِمَالْطَـةَ الَّتـي وصَلَهَـا ليلـةَ السَّـبت عشريـن مـن محـرَّم عـلى السَّـاعةِ الحاديـةَ عـشْرةَ ليـلاً، **ومنها** لِجَبَـلِ الطَّرِيـقِ الَّـذي وصـلَ إليـه ليلـةَ الخامـس والعِشْرِيـنَ مـن مُحَرَّم، ومنـه لِطَنْجَـةَ الَّتـي وصـلَ إليهَـا الرَّكْـبُ يـوم الإثنـين تَاسِـع وعشرِيـنَ محـرَّم، **ومنها** لِتِطْـوَانَ، **ومنها** لِجَبَـلِ العَرِيبَـة، **ومنها** لِلْقَـصْرِ الْكَبِـيرِ، **ومنها** لِقَرْيَـةِ مُحَمَّـدِ بْـنِ عَبْـدِ السَّـلَامِ السُّـفْيَانِي، **ومنها** لِوَرْغَـةَ، **ومنها** لِـوَادِي أَرْضَـات، **ومنها** لِـدُوَارِ الحـاجِّ مُحَمَّـدِ بْـنِ يَـطُّ الجَّامْعِـي، **ومنها** لِمَـشْرَعِ مَوْلانَـا عبـد الله، **ومنها** لِمَدِينَـةِ فَـاسَ وزيـارةِ ضريـحِ المـولَى إِدْرِيـس قصـد التَّـبَرُّكِ بـه.

المحور الثّاني عن أهمِّية الرِّحلة العلميَّة:

تُعـدُّ هـذه الرِّحلـةُ رِحْلَـةً حجازيَّـة، إلَّا أنَّهـا تتميَّـزُ عـن الرِّحْـلَاتِ الحجازِيَّـةِ التَّقليديَّـةِ مـن جوانـب مختلفـةٍ مـن أهمِّهَـا:

تَحْوِيـلُ طريـق الـبَرِّ المعتـادة في السَّـفرِ لحـجِّ بيـتِ اللـه الحـرامِ إلى طريـقِ البحـرِ بِواسـطةِ السُّـفُنِ أو مـا كان يُسَـمِّيها المغاربَـةُ بِبَابُـورِ البحـرِ انطلاقـاً مـن مدينـة طنجَـةَ، الَّتـي عَوَّضَـتْ مَدينـةَ فَـاسَ، ومُرَّاكُـشَ، وسِجِلْمَاسَّـةَ، كنقطـةِ انطـلاقٍ في مَسَـارِ هـذا النَّـوْع مـن الرِّحْـلَاتِ الحجازِيَّـةِ الَّتـي بـدأت خـلال النِّصـفِ الثَّـاني مـن القـرن التَّاسـع عـشر للميـلاد، كَرِحْلَـةِ

مُحمَّد بن عبدِ الله بْنِ مُبَارَك بْنِ عَلِيٍّ الْغِيغَائِي من أهلِ القرنِ الثَّالثَ عَشَرَ للهجرة، الَّتي قام بها عام:1857م، ورحلةِ أَحمدَ بْنِ الحَسَنِ السَّبعِي(ت.1340هـ)، الَّتي قام بها عام: 1310هـ/1893م. ورحلَةِ إدريسَ بْنِ عبدِ الهَادِي بْنِ عبدِ اللَّهِ العلوِيّ الحَسَنِيّ الشَّاكِرِيّ (ت.1331هـ) الَّتي قام بها عام: 1288هـ/1891م، تُجَسِّدُ أحسنَ نموذجٍ لتوضيحِ التَّحَوُّلِ الَّذِي طَرَأَ على مَسَالِكِ طُرُقِ الحجِّ.

ولَمَّا كان سفرُ المؤلِّفِ إلى الحجِّ عبرَ وَسِيلَةِ نَقْلٍ حديثةٍ كالبَابُورِ، فإنَّه لم يَغْفُلْ عن أن يُدَوِّنَ للقارئِ الظُّرُوفَ المواكبة لِلرِّحْلَةِ على مَتْنِ هذه السَّفينة، ويَصِفُ له بشكل مُفَصَّلٍ كلَّ ما يُوجدُ فيها من لَوَازِمِ الرِّحلةِ الَّتي تُوَفِّرُ الرَّاحةَ لِرَكْبِ الحاجِّ، فقال: «وركِبْنَا في بابورِ الدَّوْلَةِ المذكورَة... ونزلتُ في قَامْرَةٍ مُشتمِلَةٍ على فُرُشٍ أربعَةٍ، وثلاثِ مَرَايَا، وثمانيةِ غَرَارِيفَ للمَاءِ العَذْبِ، وأربَعِ طَاصَاتٍ وكُلُّ واحدةٍ عليها آنِيَةُ بْدِيعٍ بها خُطُوطٌ زُرْقٌ كأنَّها رُخَامٌ، وفوقَ كلِّ واحدةٍ آنيةٌ لِتَنْشِيفِ الصَّابُونِ، وبإزاءِ كُلِّ اثنينِ مَرْفَعَانِ في كلِّ واحدٍ كأسٌ وَمَجْرَى بَدِيعٌ للصَّابُونِ، وعلى رأسِ كلِّ آنية زِيفٌ مُعَلَّقٌ، وبكلِّ قَامْرَةٍ مَرْفَعٌ وخُيوطٌ مُشَبَّكَةٌ لِوَضْعِ الحَاجَاتِ، وبها سِرْدَاب مُشْرِفٌ على البحر تَرْبِيعَةُ ثلاثةِ أَشْبَارٍ، وبها مَحْبِسَانِ من بَدِيعٍ كِرَاؤُهَا وَاصِلاً للإسكندريَّة سَبْعُونَ إِبْرَةً، ونزلَ أصحابي بِالسُّكَنْدَةَ وكراؤها واصلا للإسكندريَّة بخمسينَ إِبْرَةً. وفي مُقَابِلِ كلِّ قَامْرَةٍ أخرى وبينهما

مُسْتَرَاحٌ وباب يُسَدُّ على الجميع، وعدد قَامِرَات البكيط ثمانية وستُّون، وبين كلِّ اثنين مُسْتَرَاحٌ وفي الوَسَطِ حَمَّامَاتٌ ثلاثةٌ، وفي وَسَطِهِمْ مُطَهِّرَاتٌ ثلاثةٌ، وعددُ سُكَنْدَاتِهِ ثمانيةٌ في كلِّ واحدةٍ فُرُشٌ ثمانيةٌ وأَوَانٍ تُنَاسِبُهَا، وفي مُؤَخَّرِهِ محلٌّ للأكلِ به اِثْنَتَا عَشْرَةَ شَلْيَةً كلّ واحدة تَسَعُ جَلْسَتَيْنِ، وبين كُلِّ اثنين شَلْيَةٌ صغيرةٌ، سِتٌّ في هذه النَّاحيةِ، وَسِتٌّ في النَّاحية الأخرى وَطَبْلَةُ الأكْلِ بَيْنَهُمَا عليها غُطْرَانٌ خَمْسُونَ، وكؤوسٌ خَمْسُونَ، ومَعَالِيقُ وَمْتَكَّاتٌ مائتانِ، وجْنَاوَى خمسُونَ والْمَعَالِيقُ من سِتِّ عَيِّنَاتٍ في هذه النَّاحيةِ، ومثلُ ذلك في النَّاحيةِ الأخرى، وابتداءُ الأَكْلِ بعدَ طُلوعِ الشَّمس بنحْوِ ساعةٍ، وبعد الفراغِ تُجْمَعُ الأواني وتُوضَعُ في مَحَلِّهَا في أقلِّ مُدَّةٍ مع كَثْرَتِهَا، ويتكرَّرُ الأكلُ في اليومِ خَمْسَ مرَّاتٍ، والفراغُ منه بَعْدَ الغُرُوبِ بساعَةٍ. وفي وَسَطِهِ طَبْلَةٌ كبيرةٌ والأخرى صغيرةٌ لَهُمَا شَلْيَاتٌ كَبِيراتٌ في كلِّ ناحيةٍ ثلاثةٌ عليها غُطْرَانٌ ثَلَاثُونَ، وكُؤُوسٌ كذلك، ومَعَالِيقُ وَمْتَكَّاتٌ وجْنَاوَى نحوَ الثَّلَاثِينَ وبالسُّكَنْدَة طبْلةٌ كبيرةٌ على طُولِهَا، وبها ما يُنَاسِبُهَا من كلِّ شيءٍ وفي أوَّلِهِ مَحَلُّ مَبِيتِ البحريَّةِ وعلى ظَهْرِ الكَبِيرْطَةِ مَحَلُّ الرَّئِيسِ، ومحلُّ الكُتَّابِ وكُوزِنَتَانِ ومَحَلَّانِ لِلْعَجِينِ، ومَحَالٌّ ثلاثةٌ لوضْعِ اللَّحْمِ، وبها بَقَرَاتٌ للحليبِ خمسةٌ، وثوران، وَحْوَالَة نحو الأربعين، وَأَقْفِزَةُ الدَّجَاجِ، والْبُرْكُ وَبِيبِي وبعضُ الصَّيْدِ الْمَيِّتُ، وكلُّ ما يحتاجُ إليه

الإنسانُ من الخُضَرِ والعَقَاقِيرِ والفَوَاكِهِ»[1].

يظهرُ من خلالِ هذهِ الأوصافِ الَّتي قدَّمَها المؤلِّفُ عن هذه السَّفينةِ أنَّها تتوفَّرُ على كلِّ ما يَلْزَمُ الرِّحْلَةَ من مَلْبَسٍ، ومَشْرَبٍ، ومَأْكَلٍ، ومَسْكَنٍ، ودَوَاءٍ، وَوَسَائِلَ تَرْفِيهِيَةٍ خلال مَسَارِهَا البحريِّ ذهاباً وإيَاباً، إلَّا أنَّه استعملَ في وصفِ ذلك مُعْجَماً لغويّاً غلبتْ عليه مُصْطَلَحَاتٌ عامِّية، رغم تَمَكُّنِهِ من نَاصِيةِ اللُّغة العربيَّة، إذ يُعَدُّ من العلماءِ الأعلامِ في جامِعِ القرويِّين.

وقد ذكرَ الْمُؤَلِّفُ أيضا في هذه الرِّحلة بعضَ الظَّواهرِ والأُمُورِ المختلفةِ، الَّتي أثارت انْتِبَاهَهُ واسْتَوْقَفَتْهُ للتَّأمُّلِ فيها، كمشاهدتِهِ لبعض الأمُورِ الصِّناعيَّة، ووقوفِهِ على عمليَّة استخراج الغَازِ في جبلِ طَارِقٍ، وزيارته لمحلِّ خُروج الغاز الَّذي توجَّهَ إليه: «مَعِي الأمينُ والمعلم وأَمْعَنْتُ في النَّظَرِ غَايَةً، وجَعَلْتُ أَبْحَثُهُمَا عن ابتداء كَيْفِيَّتِهِ، وانتقالِهِ، وتَصْفِيَتِهِ، ووزْنِهِ، وتَجْزِئَتِهِ على البلادِ كُلِّهَا. وأَطْلَعَانِي على ذلك كُلِّهِ بالعَمَلِ لا بالْإِشَارَةِ حتَّى صَارَ بِالْبَال، وذلكَ من أَغْرَبِ الغَرَائِبِ وَأَبْدَعِ العَجَائِبِ»[2].

ولم يُخْفِ إعْجابَهُ بفنِّ العِمارةِ الَّتي وَقَفَ عليهَا في مِصْرَ، لا سيَّما طريقَةُ بناءِ الْمُنْشَآتِ التَّاريخيَّةِ القديمةِ كقَلْعَةِ محمَّد عَلِيّ في جَبَلِ

1 - الرحلة الحجازية: 66-69.

2 - نفسه: 64.

الْمُقَطَّم،ومَنَارَةِ شَبْرَة الخَيْمَةِ وقِبَابِهَا الأرْبَع، والمساجِدِ العَتيقَةِ، والأضرحَةِ، والمزارَاتِ، والمقَامَاتِ، والأَتْرِبَةِ، والقصورِ والسَّرَايَا التَّاريخيَّة، حيث يقول: «ومررت بِسَرَايَةٍ على شاطئِ النِّيلِ كانت لسَعِيد بَاشَا وَوَلِعَ بها غَايَةً، وبها توفِّيَ ودُفنَ بمقبرةٍ لهم بإزاءِ النَّبيِّ المذكور، ورأيتُ فيها بناءً عجيباً وفراشاً مناسباً لهُ، لكُلِّ مكانٍ ما يُشَاكِلُهُ ولا يَصْدُرُ ذلك إلَّا ممَّن شربَ كَأْسَ الغَفْلَةِ، وانْسَبَحَ في بحر الهواءِ والشَّهْوةِ، جعلنَا اللَّهُ وإيَّاكم ممَّن آثرَ الفَنَاءَ على البَقَاءِ، وسَلَكَ سبيلَ الْمُتَّقِينَ الرَّاشِدِينَ»[1]. ثمَّ حدَّثَنَا عن طريقةِ اشتغالِ مطبعةِ بُولَاق، وسُرْعة إنتاج مطبوعَاتِهَا، وانْضِبَاطِ العملِ فيها بنظامٍ وانتظامٍ: «فمن شَبْرَةَ توجَّهنا لِبُولَاق لِلْمطبعَةِ وهناكَ مَطْبَعَتَانِ أشهرهما مَطْبَعَةُ الحروفِ، والعَجَبُ كلّ العجبِ من سُرعةِ طَبْعِهَا وعِمَارَتِهَا ونَسْخِهَا، ولها مَحَالٌّ متعدِّدَةٌ ولكلِّ محلٍّ طائفَةٌ من النَّاسِ يَعملُونَ عملاً كُلٌّ مُيَسَّرٌ لِعَمَلِهِ»[2].

ولَمَّا كانت الرِّحْلاتُ الحِجَازِيَّةُ المغربيَّةُ في عُمومِهَا عِبارةً عن مدوَّنَاتٍ تاريخيَّةٍ، فإنَّ المؤلِّفَ سَارَ على نفسِ النَّهْجِ واهتَمَّ كثيراً بالجانبِ التَّاريخِي في رِحْلَتِهِ، خاصَّةً ما يتعلَّقُ منه بالرِّجالِ وأخبارِهِمْ، وعن أشياخِهِ العلماءِ من المشارقَةِ والمغاربَةِ، فهو عَبْرَ مَسَارِ رِحلتهِ ذهاباً

1 - الرحلة الحجازية: 70.

2 - نفسه: 73.

وإياباً لا يَمُرُّ بقريةٍ، أو مدينةٍ، أو زاويةٍ، إلَّا تَوَقَّفَ فيها لزيارَةِ عُلَمائِهَا أحياءً وأمواتاً، والتَّبرُّكِ بأوليائِهَا الصَّالحين خاصَّة حين مُقَامِهِ أثناءَ رِحلتِهِ في القاهرة والإسكندريَّة، كما تحدَّث لَمَّا وصلَ إلى الحجازِ عن قُبورِ الشُّهداءِ، والصَّحابَةِ رضيَ اللَّه عنهُمْ، وعن أزواجِ النَّبيِّ صلَّى اللَّه عليه وسلَّم، وعن أُمَّهَاتِ المؤمنين، وعمَّاتِهِ، وأعمامِهِ، وعن المساجدِ والبِقَاعِ، والأماكنِ المقدَّسَةِ، وغيرِ ذلكَ من القُبورِ والمزاراتِ سواءٌ في مكَّة المكرَّمة أو في المدينةِ المنوَّرةِ.

وعَرَضَ المؤلِّفُ في رحلتهِ بعضَ الظَّوَاهِرِ الاجتماعيَّةِ السَّيِّئةِ الَّتي رَصَدَهَا في مختلفِ مراحلِ سفرِهِ كظَاهِرَةِ سَطْوِ الشُّطَّارِ والزُّعْرِ على ركب الحاجِّ في مَشْرَعِ مْسِيعِيدَة حيث قال: «وَفَقَدْنَا به كلَّ شيءٍ، ومن عَلَفِ الدَّوابِّ وَلَوْجِيبَات جعلَ الله ذلك تَكْفِيراً لِلسَّيِّئَاتِ»[1]. وتكَرَّرَ لهم الموقِفُ نَفْسُهُ في أرضِ الحجازِ، فقال: «التَقَيْنَا شِرْذِمَةً قليلةً وعَلَتْ قمَّةَ جبلٍ وضربت بِعُمَيْرَاتٍ وأُصِيبَ جَمَّالٌ برصاصةٍ في مِعْصَمِهِ الْأَيْسَرِ وأَظُنُّهُ يَسْلَم إن شاءَ الله»[2]، وفي السِّيَاقِ نَفْسِهِ قال أيضا: «وَبَارَزَتْنَا جماعَةٌ من حزبِ الشَّيطانِ بالقتالِ الشَّديدِ، واستمرَّ نحو السَّاعتينِ وأُصِيبَ مَنْ نُفِّذَ به القضَاءُ وسَبَقَ عليه القَدَرُ مِنْ رِجَالٍ وجِمَالٍ، وفي سبيل الله ما لَقِيَ

1 - نفسه: 60.

2 - نفسه: 76.

الحُجَّاجُ جعل الله ذلك تَمْحِيصاً للذُّنوب وذُخْراً يوم تَنْفَرِدُ الشَّفاعَةُ لصاحبِ التَّاجِ»[1].

ومنَ الخَصَائِصِ الفنِّيةِ الَّتي تميَّزت بها هذه الرِّحلة عن غيرِهَا من الرِّحْلاتِ، أنَّ المؤلِّفَ جعل لها بناءً فنِّياً لم يُسْبَقْ إليه من قَبْلُ، حيثُ أفردَ خَاتمتَهَا للحديثِ عن زياراتِ الأولياءِ والشُّهداءِ، ومُلاقاةِ العلماءِ الأعلامِ، والوقوفِ على الْمَزَارَاتِ التَّاريخيَّةِ الشَّاهدة على الأحداثِ، والتَّبرُّك بالأماكنِ ذات الأَرْوَاحِ القُدسيَّةِ والأنوار السَّنِيَّةِ، وقد عبَّرَ عن ذلك بقولهِ وَجَعَلَهُ: «مِنْ مِنَنِ الله على العَبْدِ الحقيرِ المعترف بالتَّدْنِيسِ، الرَّاجي من مَولاهُ التَّطْهِيرَ في كلِّ لحظةٍ وتَعْرِيسٍ، والأمْنَ يومَ تَذْهَلُ الوالدةُ وَيَتَّحِدُ المرْءُوسُ والرَّئِيسُ، ضَعيفُ عبَادِ الله إدريسُ، زيارة هؤلاء السَّادات ومُلاقَاة العلماءِ المشاهِيرِ الأعلَامِ، والتَّبرُّك بالمساجدِ العِظَامِ»[2].كما سجَّلَ في رحلتِهِ أَسماءَ العديدِ من الشَّخصياتِ السِّياسية الَّتي برزَتْ في عهد السُّلطان المَوْلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ، كالقائدِ عبدِ الرَّحْمَن الشْلِيَّحْ، والقائدِ أبي بَكْرِ بْنِ محمَّدٍ الحَبَّاسِي، والقائدِ محمَّدِ بْنِ عبدِ السَّلامِ السُّفْيَاني، والأَمِينِ عبدِ الحفيظِ بَرَّادَةَ، والوزيرِ محمَّدِ بَرْكَاش، والنَّاظِرِ أحمدَ مُفَرِّجِ، والأمِينِ الحاجِّ المكِّيِّ مَعْنِينُو السَّلَاوِي، والقائدِ محمَّدٍ الجَبُّورِي.

1 - نفسه: 78.

2 - الرحلة الحجازية: 84.

وخُلاصَةُ القولِ فإنَّ هذه الرِّحلة الحجازيَّة تَبْدُو صغيرةَ الجرمِ قليلَةَ الحجْمِ، إلَّا أنَّها جَليلَةُ الخَطَرِ عَظِيمَةُ القَدْرِ جَعلها مُؤلِّفُها مَوْسُوعَةً معرفيَّةً جمعَ فيها بين الأدَبِ، والتَّاريخِ، والجغرافيَا، وارتيادِ الآفاقِ، ودَوَّنَ فيها كثيراً من المعلوماتِ تتعلَّقُ بالسَّفرِ للحجِّ في ذلك العَصْرِ وما يَسْتَلْزِمهُ من الاستعدادِ المادِّي والمعنوِي والرُّوحي، كما حدَّثنا عن البَابُورِ وسيلةِ النَّقلِ الجديدةِ الَّتي أصبحت مُعْتَمَدَةً لحجِّ بيتِ الله الحرامِ وزيارةِ النَّبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم، فأصبحَ ركبُ الحاجِّ يَسْلكُ مساراً طُرُقيّاً بحريّاً جديداً عبر البُوغَازِ انطلاقاً من مدينة طَنْجَةَ وَوُصُولاً إلى بيتِ الله الحرامِ ومدينة رسول الله صل الله عليه وسلم.

منهجُنَا في تحقيقِ الرِّحلةِ

اعتمدتُ في تحقيق هذه الرِّحلة الحجازيَّةِ المباركَةِ على منهجٍ علميٍّ بدأتُ فيه بكتابةِ نصِّ الرِّحلة وفقَ قواعدِ رسمِ الحروفِ والقواعدِ الإملائيَّةِ المتَّبعةِ في الطِّباعةِ الحديثَةِ، مع ترتيبِ النَّصِّ في فِقْرَاتٍ يُرَاعَى فيها أصولُ التَّرقيم بجميع أنواعِهَا، وَشَكَلْتُ ما غَمُضَ فيها من الألفاظِ والعباراتِ الَّتي تحتاج إلى الضَّبْطِ، لاسِيَّمَا ما يتعلَّقُ بأسماء الأعلامِ، والأماكنِ، والبلدانِ، والآيات القرآنيَّة الكريمة، والأحاديثِ النبويَّةِ، وبعضِ المصطلحات العَامِّيَةِ الواردة في متن الرِّحلة، واعْتَنَيْتُ بالمقابلَةِ بين نُسخِ المخطوطِ وإثباتِ الاختلافاتِ الَّتي تُوجد بينها في الهامشِ. ثمَّ في الخُطوة الموالِيةِ وثَّقْتُ الآياتِ القرآنيَّةَ الكريمةَ من الْمُصْحَفِ الشَّريفِ بروايةِ ورشٍ، وعَرَّفْتُ بالبلدانِ والأماكنِ، والقبائلِ، والأعلامِ المغمُورِينَ تعريفاً موجزاً ومركَّزاً مع الإحالةِ على المصادرِ المعتمَدَةِ مُرتَّبَةً ترتيباً تاريخيّاً، وحَرَصْتُ ما أمكنَ الحِرْصُ على تَوْثِيقِ النُّقُولِ والأقوالِ الواردَةِ في الرِّحلةِ من مَصادرِهَا الأصْلِيَّةِ.

وفي الختام صَنَعْتُ للرِّحلةِ مجموعةً من الفهارسِ الفَنِّيَّةِ الَّتي تُسَهِّلُ على القَارِئَ البحثَ في ثَنَايَا الكتابِ والاستفادَةَ من مَعْلُومَاتِهِ، وقد

رتَّبتُهَا بِحَسَبِ طَبِيعَتِهَا كما يلِي:

-فهرسُ الآياتِ القرآنية الكريمة.

-فهرسُ الأحاديث النبويَّة الشَّريفة.

-فهرسُ الكتبِ الواردةِ في المتنِ.

-فهرسُ الأعلام.

-فهرسُ البُلدانِ والأماكِنِ.

-فهرسُ القبائلِ والأممِ والطَّوائفِ.

-فهرسُ المصطلحات العامِّية الواردة في متن الرِّحلة.

-قائمةُ المصادر والمراجع.

-فهرسُ الموضوعات.

وصف النُّسخ المخطوطة

اعتمدتُ في تحقيقِ هذه الرِّحلة الحجاريَّةِ على ثلاثِ نُسخٍ مخطوطةٍ محفوظةٍ في كُلٍّ من الخزانة الملكيَّة في القصر الملكي بالرِّباط، وفي المكتبةِ الوطنيَّةِ المغربيَّة.

النُّسخة الأولى في الخزانة الملكية:

تحمل رقم:11509 وهي نسخة تامَّةٌ ومُصحَّحَةٌ، كُتبتْ بخطٍّ مغربيٍّ مُجَوْهَرٍ جميلٍ، بعضه مشكول، مع استعمال اللَّون الأزرق، والأخضر، والأحمر لكتابة بعض الألفاظ في متن الرِّحلة كألفاظ الحمدلة والتَّصلية وبعض الكلمات الأخرى في المتن، بها تعقيبة مائلة، وعليها طرر قليلة للشَّرح والتَّصحيح، والنُّسخة سالمة في عمومها من ثُقوب الأرضة، ومن أثر الرُّطوبة والحُمُوضة، تقع ضمن مجموع من الورقة الأولى إلى الورقة:13، تتألَّفُ من: 13 ورقة مقياس:17 x22 سم، مسطرة:19 سطرا. وفي كلِّ سطر خمس عشرة كلمة، وهي خَالية من بيانات اسم النَّاسخ وتاريخ النَّسخ. ورقها حديث مَصقول جيِّداً، وتسفيرُهَا حديث بورق مُقَوَّى أزرق، وموصولٌ بلسان الحِفْظِ، تَفَكَّكَتْ حبكة كعب الغلاف ممَّا أدَّى إلى تفكُّكِ مَلْزَمَاتِهَا.

تبتدئُ بقول المؤلِّف:» الحمدُ لله المتفضِّلِ بجلائلِ النِّعَمِ على مَنْ أَرَادَ تَطْهِيرَهُ من كُلِّ الآثامِ والنِّقَمِ، والشُّكرُ له على ما أَسْدَى مِنْ نفَائِسِ الآلاءِ الَّذي لا يحيطُ بِكُنْهِهَا لسانٌ ولا قلمٌ، والصَّلاة والسَّلام على سيِّدنا ومولانا محمَّدٍ خاتِمِ الأَرْسَالِ ومِسْكِ الختامِ، وعلى آله البَرَرَةِ الكرامِ، وصحابتِهِ الْمُشَيِّدِينَ مَنَارَةَ الإسلامِ، الْمُقْتَفِينَ أَثَرَهُ في الارْتِحَالِ والْمُقَامِ، وبعد: فهذا أوانُ الشُّروعِ في السَّفرِ لحجِّ بيت الله الحرام مَرْكَزِ التَّضَرُّعِ والخُشوعِ، وزيارَةِ قبرِ النَّبيِّ عَيْنِ الرَّحمةِ، ويَنْبُوعِ الشَّرَفِ الثَّابتِ الأصلِ والفروعِ، وذلك في يومِ الأحدِ الثَّالثَ عَشَرَ من شهرِ رمضانَ المطهَّرِ سنةَ ثلاثٍ وثَمانِينَ ومائتينِ وألفٍ...».

وتنتهي بقوله: «فالحمدُ لله الَّذي أَلْهَمَنَا لاتِّباعِ الشَّريعةِ، ونَوَّرَ قلوبَنَا بنور المعرفةِ، حتَّى مَنَّ علينا بأداءِ هذه الفَريضَة، لا بِعَمَلٍ عَمِلْنَاهُ، ولا بخيرٍ قَدَّمْنَاهُ، بل سَابِقِ عنايَةٍ من الله على يدِ رسولِ الله، ويدِ مولانا أميرِ المؤمنِينَ، القَائِمِ بحدودِ ربِّ العالمينَ، حامِلِ لواءَ سيِّد المرسلينَ، الحامِي بَيْضَةَ المسلِمِينَ، اللَّهُمَّ انصُرْهُ نصراً مُؤَزَّراً، وأَبْقِ الخلافَةَ في عَقِبِهِ إلى يوم الدِّين آمينَ آمينَ آمينَ، بجاهِ شَفِيعِ الْمُذْنِبِينَ سيِّدنا محمَّد بنِ عبدِ الله خَاتِمِ النَّبيئينَ وسيِّدِ ولدِ آدمَ أجمعينَ».

النُّسخة الثَّانية في المكتبة الوطنيَّة المغربيَّة:

سُجِّلَتْ تحت رقم:1115ك، وهي نُسخة تامَّة ومُصحَّحةٌ، في أوَّلها لوحةٌ مُزخرفةٌ ومُذهَّبةٌ مَوْصُولةٌ بإبْطٍ مُزَخْرَفٍ أيضا، كُتِبَ في داخلها بخط الثُّلث المغربي عنوان الرِّحلة، أمَّا النُّسخة فَكُتِبَتْ بخطٍّ مغربي مُجوهرٍ جميلٍ، جُلُّهُ مَشْكُولٌ، داخلَ إطارٍ بخطٍّ أزرق وخطَّينِ أحمرين مع استعمالِ اللَّون الأحمرِ، والأخضَرِ، وماءِ الذَّهب لكتابة ألفاظِ الْحَمْدَلَةِ والتَّصْلِيَةِ، والفَواصِلِ بين الفِقَرِ، وبعضِ الكلماتِ الأخرى في المتْنِ، بها تعقيبة مائلَةٌ، وطرر قليلة للشَّرح والتَّصحيحِ، والنُّسخة سالمةٌ من ثُقوبِ الأرضَةِ، وأَثَرِ الرُّطُوبَةِ والحُمُوضَةِ، وهي عاريَةٌ من بَيَانَاتِ اسم النَّاسخِ وتاريخِ النَّسخِ، تُوجد ضِمنَ مجموعٍ يحتوي على ما يلي: (منظومةٌ في الخيلِ، ولُغْزٌ في الشَّمْسِ، والرَّدُّ على الجيشِ العَرَمْرَمِ، وقضيَّةُ البَلَدِيِّين الْمُعَبَّر عنهمْ بالمهَاجِرِينَ، ومنظومَةٌ في استخراج الضَّميرِ، والقرعة المامونية، وتوسُّل لسيدِي قدُّور العَلَمِي، وأمداح في سيرة المقدس، ورحلةُ مولاي إدريس بن عبد الهادِي العلوي وهي آخر المجموع)، تتألَّفُ من: 12 ورقة من الورقة: 112 ب إلى الورقة: 123، مقياس: 23 x 17 سم، مسطرة: 19 سطرا، وفي كلِّ سطر:15 كلمة. ورقها حديثٌ مَصْقُولٌ جيِّدا، تسفيرُها مغربي أصلي جلد أحمر مُذَهَّبٌ ومُزخرَفٌ، وموصولٌ بلسانِ

الحِفْظِ، تَمَزَّقَتْ حبْكَةُ كعبِ الغلافِ ممَّا أدَّى إلى تفكُّكِ مَلْزَمَاتِهَا. وهي تَتَّفِقُ مع النُّسخة الأولى في بِدايتِهَا ونهايتِهَا.

النُّسخة الثَّالثة في المكتبة الوطنيَّة المغربيَّة:

تحملُ رقم: 104ج نسخة تامَّة ومُصحَّحةٌ كُتِبَتْ بخطٍّ مغربيٍّ مُجوهَرٍ جَيِّدٍ شبِيهٍ بالخطِّ الَّذي نُسِختْ به نُسخة الخزانة الحسنيَّة، بعضه مَشْكول مع استعمال اللَّونِ الأحمر والأزرق والأخضر لكتابة ألفاظ الحَمْدَلَةِ والتَّصْلِيةِ وبعضِ الألفاظِ الأُخرى، خاليةٌ من بياناتِ اسمِ النَّاسِخِ وتاريخِ النَّسْخِ، تتألَّفُ من: 12 ورقة، مقياس: 23 x 18 سم، مسطرتها: 19 سطرا، بها تعقيبة مَائِلَةٌ، وعليها طررٌ قليلةٌ للشَّرحِ والتَّصْحِيحِ، سالمةٌ من ثُقوب الأرضَةِ، والرُّطوبةِ، والحُموضَةِ، ورقُهَا حديثٌ خَالٍ من العَلَامَة المائِيَةِ والخُطوط المتوازِيةِ، وهي غير مُسَفَّرَة حُفِظَتْ في عُلْبَةٍ من الوَرَقِ الْمُقَوَّى.

نماذج مُصوَّرة من نُسخِ المخطوط

نماذج مصوَّرة من نسخة الخزانة الملكية

نماذج مصوَّرة من النُّسخة الأولى
بالمكتبة الوطنيَّة المغربيّة رقم: 1115د

رحلة مولاي ادريس
ابن عبد الهادي الحلو
الى الحجاز

يعمله وكانت مدة اقامة بمنى تسعة ايام وفرغنا منها ليلة الثلاثا
بعد الفجر بنحو ساعة وركبنا في بابور البحر ومشينا خمس ساعات وكشفنا
بحيرة البابور حتى طلع البحر وقرلنا بسويس على شاطيء البحر وهو الغد
فطعنا النهار وكله في طعم ورفقا الحكيم المحدث في هذه السنة وحمدنا الله
وشكرناه على ما علمنا في وسط المسلمين وهو الغد صبحنا عاشر بحيرة
لم ينفصل الى الكناش ويكتب عليها وبعد الحمد صعدنا الجمال الشرابة ليطبع
عليها وخلصنا من هذه البلد في نحو الثلاث ساعات ثم مشينا نحو الطعم ورفقة
البحر وركبنا في بابور البحر الى بحيرة بالا وهي بحيرة بالا والسكر نحو خمسة عشر
ميلا والكبريت بعشرة اميال ونصف ثم ركبنا جاوكة فوصلنا للبابور ومكثنا
بها ساعة ونصف وبها علمنا البحر وبين البابور وغيزة وركبنا في البابور
في الساعة الثانية عشر من نهار يوم الاربعاء التاسع والعشرين من شوال
ومشينا مرسويس لنحو نصف البحر ازيد بعمايته ميل وثمانين ميلا وصلنا
ينبوع البحر يوم الخميس راجعين فقدرنا القيام في الساعة الثامنة من النهار فمشينا
سالمين معافين بشكر لله البحر ونزلنا بدار الشيخ ابراهيم عواد وهو الفاضي
وشيخ على شاطيء البحر ونعت البلدة وكانت بها الطاعون ولم نخرجنا
من ينبوع البحر بعد العشاء بخمسة ايام في انتظار جاوكة البرزخ خمسمائة
نحو يوم السبت عاشر شعبان عند اذان العصر ونزلنا سالمين الى ان مشى
في نحو سبع ساعات وهو الغد ساعة في الساعة الواحدة من النهار ونزلنا بسعيد
في البحر بنحو ساعتين وهو الغد ازعلنا في الساعة الحادية عشر من

التصوير